شعر الغشري دراسة في الفن والموضوع

أ.د. سالم بن سعيد بن ناصر الهَيْملي

سلطنة عمان – معلم متقاعد

Al-Ghoshri's poetry, a study of art and subject

Prof. Dr. Salem bin Saeed bin Nasser Al-Humaili

Sultanate of Oman – Retired Teacher

https://doi.org/10.64704/dawat.2025114511

ملخص البحث

لا شك أن الدراسة الأدبية الوصفية للأدب تستدعي أن يقوم الباحث بالتعريف بالأديب وحياته وبيئته وصلته بمن حوله من العلماء والساسة وأهل مجتمعه، وذلك أن الشاعر ابن بيئته، لا ينفك عنها ولا يحيد، بل ويتأثر ويؤثر فيها. ولقد قام الباحث بالبحث والتقصي مما هو موجود ومتداول لديه من المصادر والمراجع ومن أهمها ديوانه الشعري وما كُتِبَ عنه، وأهم الأغراض الشعرية التي أبدع فيها، وما اتسم به شعره من صفات فنية جعلت من شعره يرقى ويسمو. ولعل أهم ما واجهه الباحث هو ما تعلق بتاريخ مولده ووفاته حيث لم تكن هناك مصادر تؤكد لنا ذلك. ولقد عمد الباحث إلى استقراء الديوان بنصوصه الشعرية والنثرية وتوظيف المعجم اللغوي لتفسير مفرداته وشرح ما أشكل عليه من أبيات، وذلك للوصول إلى أهم النتائج وهي أن شاعرنا أدرك أهم عصرين سياسيين عمانيين وهما عصر نهاية دولة اليعاربة، وبداية دولة البوسعيد مما فجَّر موهبته الشعرية وجعله مميزًا بين أقرانه من حيث براعة استهلال قصائده، وأغراضه الشعرية، وما اتسم به شعره من طول النفس، وسمو لغته الأدبية ورقيها، وموسيقاه الداخلية، واختتامه بالصلاة على النبي عليه السلام.

Abstract

This study is a descriptive-analytical investigation of the poet Said bin Mohammed Al-Ghashri. The aim of the study was to develop a biographical description of the poet›s personal, social, political and literary environment to reach conclusions about how those aspects have shaped his literary production in an implementation of the hypothesis that «the poet is a son of his environment».

The researcher addressed aspects of the poet›s environment in relation to his works through analysis of the available and circulated references, namely and majorly his poetry collection. The analyses approached the most dominant peculiarity of his poetry in which he excelled, and the artistic features that characterized his poetry and what made his poetry elevate and sublime.

One major challenge encountered in the investigation was reaching conclusion about the poet›s birth and death, as there were no reliable resources with systematic indexes. The researcher extrapolated the collection with its poetic and prose texts and employed dictionaries to interpret its language register and vocabulary selections.

The main findings include that the poetic production convoyed the two most important Omani military eras, namely the era of the end of the Ya›rubi ruling state and the beginning of the Al-Busaid state, which sparked his poetic talent and made him distinguished among his peers in terms of ingenuity with which he began his poems, its poetic purposes, the length of his poems, the sophistication of his literary language, his inner music, and his stable conclusions, frequently by prayers for Prophet Mohammed.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

بعد مسيرة بحث مع ديوان الغشري، خرج هذا العمل بدراسة وصفية كما يراه المطّلع، وآمل أن أكون قد أفدته بالجديد من تراثنا العماني، الذي تركه لنا أدباؤنا السابقون، وأن أكون قد أديت الأمانة التي تكفلت بحملها، وأديت الغاية المرجوة من البحث.

لقد قام الباحث في بداية عمله بقراءة ديوان الغشري قراءة تحليلية متأنية، ورصد ما يمكن دراسته؛ وذلك رغبة مني في إحياء لكتب التراث العماني وإبرازها، والكشف عن ديوان زاخر بالإبداعات الفكرية والعلمية، وأود الإشارة إلى أن هذا البحث لايقلل بأي حال من الأحوال من شأن البحوث الأخرى؛ ذلك لأن الفضل يرجع إلى كل من سبقني في دراسة الأدب العماني عموما وشعر الغشري خصوصا؛ وذلك ليخرج هذا العمل من حوزة الأوراق إلى متناول يد القراء.

وبعدما شرع الباحث في عملية الدراسة الوصفية صادفته بعض الصعوبات، منها ما يتعلق بسيرة الشاعر ولقبه وولادته ووفاته. وكل ذلك لم يجده فيما توفر لديَّه من مراجع ومصادر إلا ما كان من التعريف به، فاعتمد بشكل خاص على المادة الشعرية ديوانه، وأؤكد أن القصد من ذلك الدراسة الوصفية ولذا سميته (شعر الغشري دراسة وصفية) ليتيح للدارسين من بعدي فرصة دراسة هذا العمل.

ولقد رسم الباحث أهدافا لهذه الدراسة واجتهد في سبيل تحقيقها ومنها أن الشاعر الغشري شاعر مخضرم سياسيا فقد أدرك أواخر العصر اليعربي وبداية العصر البوسعيدي وهي حقبة تحتاج إلى دراسة أدبية، ولذا فإن دراسة الديوان سيفتح آفاقا ومجالات واسعة لأقلام الدارسين والباحثين من النقاد والأدباء والمؤرخين للإفادة من تلك الحقبة وما صاحبها من أحداث أدبية وفكرية وسياسية.

لقد حوت هذه الدراسة

١-ترجمة الشاعر تناولت فيها التعريف بالشاعر و ولادته ونشأته ولقبه وصلته بالأئمة.

٢- أهم الأغراض.

٣- الخصائص الفنية لشعره.

ولا أزعم أني قد وفيت البحث حقه إذ التقصير من طبع البشر، فإن أصبت فمن الله العزيز الحكيم، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان. وأخيرا أسأل الله العلي العظيم أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أولا: ترجمة الشاعر

١-اسمه و نسبه:

هو الشاعر سعيد بن محمد بن راشد بن بشير الخليلي[١] الخروصي[٢] الغشري[٣]، أما الخليلي فنسبة إلى أولاد الخليل بن شاذان بن الإمام الصلت بن مالك بن بلعرب وأما الخروصي فنسبة إلى خروص بن شاري بن اليحمد بن عبدالله بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن حارث بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبان بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه الصلاة و السلام[٤] فقيه أديب وناظم للشعر من شعراء القرن الثاني عشر الهجري، من بلدة وادي بني خروص.[٥]

ومما يدل على أن نسبه يتصل ببني خروص قصيدته التي ورد فيها اسمه ونسبه وبلدته حيث يقول:

ناظِمُهَا العَبْدُ الفتى السَّتَالي
كأنَّها فِي نظْمِها اللَّآلي
وهو الخروصِيّ الفتى البليدُ
نجل الفتى محمدٍ سعيدُ

٢- ولادته:

لا تتحدث المصادر عن ولادته ولا عن وفاته ولكن بعد تتبعنا فإننا ندرك أن الشاعر قد عاش من سنة (١١١٥هـ) إلى سنة (١١٨٥هـ) بمعنى أنه عاش ثمانية عقود من القرن الثاني عشر الهجري وذلك واضح من الشواهد الآتية:

أدرك الشاعر الإمام سلطان بن مرشد الذي تولى الإمامة سنة (١١٥٤هـ/ ١٧٤١م)[٦] ووجه إليه قصيدة يقول في

مطلعها:

إلَيْكَ إمَامَ الْمُسْلمينَ نَصيحَةً
ونُصْحِيَ يبدُو لائحاً في مَقالتِي
ألا فَانْظرِ الدُّنْيَا بعيْنِ الحَقارةِ
وَلا تغتبطْ مُسْتبشرًا بالإمَارة
فَذلِكَ سُلطانُ سُلالة مرْشِدٍ
هُوَ اليعْرُبيُّ المُرتضَى ذو السَّطاوَةِ
وَكنْ خاضِعاً ذا عِفةٍ مُتواضِعاً
صَبُوراً شكوراً زاهداً ذا إنابَةِ

وقد ورد في ديوانه مخاطبا شخصا يدعى محمدًا يحثه ويمدحه على حسن صنيعه و ما يعمله من نحت على صخر يؤرخ أحداث أمطار أفسدت الزرع وذلك في سنة (١١٤٦هـ) حيث يقول:

لِستٍ وَألْفٍ بعْدَهَا مائَةٌ مَضَتْ
كَذا أرْبَعُونَ مِنْ سِنين تخلتِ
لِهِجْرةِ خيْرِ الخلقِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
أتتْنَا سُيولٌ مِنَ سَحَابٍ تَخلَّتِ
فأفسَدَ أثمارَ النخيلِ وزرعَنا
يكادُ فقيرٌ لمْ يجدْ منَ تقوَّتِ

ويفهم من ظاهر الأبيات أن الشاعر قد ولد قبل هذه المدة بسنوات، ويؤكد هذا الرأي ما ورد في ديوانه أنه أشاد وبارك ببناء مسجد الشدادية الذي تم بناؤه سنة (١١٣٧هـ)، وقد أرَّخ الشاعر بناء مسجد شدادية فقال في ذلك شعرا:

لَقَدْ تَمَّ بيْتُ الله خيْرُ مشيّدِ
بمنَّةِ ذِي العِزِّ الكَريمِ المُوَحّدِ
وَ بالأربعَا قدْ كَانَ وافى فراغهُ
بِلا عِلَّةٍ فاسْمَعْ وبالحَقِّ فاقتدِ
وثالثُ والعشرون مِنْ شهرِنَا مَضَتْ
بخيرِ شهورِ سيدِ الدهْرِ أمْجدِ
وسبعُ سنينَ قَدْ مَضيْنَ وبعدَهَا
ثلاثون عَاماً فِي التواريخ فاهْتدِ
ومَائةُ عَامٍ بعْدَ ألفٍ تصرَّمَتْ
مِنْ الهجْرَةِ الغرَّاءِ هجْرةِ أحمَدِ

ولقد أدرك الشاعر الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي فوجه إليه رسالة فيها من النصح والإرشاد ما يتناسب ومقام الإمامة وذلك بعدما بويع بالإمامة سنة ١١٥٨هـ[٧] استهلها بمقدمة غزلية بالنهي عن الاغترار بالدنيا والنساء ويدعو قومه إلى مناصرة الإمام إذ يقول فيها:

عُجْ عن وِصالِ ذواتِ الغنْجِ والحَوَرِ

المائساتِ ذواتِ الرونقِ النضرِ
منْ كلِّ فتَّانةِ العينين واضحةِ الـْ
خدَّيْنِ مَيَّاسَةٍ دُرِّيةِ الأَشَرِ
ثقيلة الرَّدْفِ لفَّاءَ إذْ خَطرَتْ
شمسيَّة الوجهِ بلْ لَيْلِيّة الشَّعَرِ

ويوجد في ديوانه إشارة صريحة أنه قد بلغ الستين من عمره حيث يقول:

وهَذا سَبيلٌ كلنَا سَالكٌ لهَا
ولا أحَدٌ منا لهُ الموتُ تارِكُ
ولا للمنايَا موقتٌ فتغبّهُ
ولكنهَا الستينُ فيهَا معارِكُ

فمن تلك الأحداث التي تطرقنا إليها ارتأينا أن نجعله في المدة التي ذكرناه سابقا وهي ما بين (١١١٥هـ) إلى (١١٨٥هـ) أي إنه عاصر وأدرك أكثر الأحداث التي وقعت في القرن الثاني عشر الهجري، ويعني ذلك أنه قد عاش ثمانية عقود من هذا القرن.

٣- نشأته:

نشأ الشيخُ سعيد في بيت عفة وصلاح وعلم، وتلقى العلم في أول طلبه في بلدته على يد المتعلمين كوالده وأعمامه، ثم انتقل إلى الرستاق، فأخذ العلم عن الشيخ خميس بن علي بن محمد بن كهلان والشيخ مرشد بن محمد بن راشد العبري، [٨] اللذين ذكرهما في ديوانه.

وقد ذكر الشاعر شيئا مختصرا عن صلاح أهله وهو يرثيهم ويذكر مناقبهم إذ يقول:

بعْدَ أبينَا الألمعِي محمدٍ
وعمَّايَ نِعمَ العُنصُرُ المتوالِدُ
فَمَنْ كَأبِي للصُّلْحِ فِي النَّاسِ والنَّدى
إذا اشتجرَ الأمرانِ قرنٌ مُساعِدُ
وَمَنْ كَوحِيدِ العَصْرِ فِي الزهدِ عامرٌ
لمْولاهُ طُولَ الليلِ باكٍ وسَاجِدُ
ومَنْ ذا كمسْعودٍ إذا مَرَّ تالياً
لآياتِ ربِّي حاضرُ القلبِ شاهِدُ

وبعد أن تفقه الشيخ الغشري أخذ أهل عصره يستفتونه في المسائل التي تنزل بهم، وقد كانت له مراسلات مع غيره من علماء عصره، كالشيخ خميس بن مبارك، والشيخ علي بن سعيد الصبحي والشيخ عامر بن محمد القصابي وغيرهم(٩)، والديوان زاخر بهذه المراسلات.

وكما يظهر في ديوانه فإن حب

العلم كان من أهم ما يشتغل به فهو يبحثُ في مسائل النكاح والطلاق والميراث والطب الشعبي بين علماء عصره من مشايخه وأقرانه الذين يستهويهم العلم ومدارسته.

٤- لقبه:

يلقب الشيخ سعيد بن محمد بن راشد بن بشير الخروصي بـ (الغشري) كما أشرنا سابقا وقد غلب هذا اللقب عليه وعلى عائلته، ولم أعثر على ما يدل من تسمية لهذا اللقب أو من تلقب به من أسرته.

هل كان الشاعر أوَّل من تسمى به، أم أن ذلك كان سابقا لعهده بحيث أن آباءَه أو أحد أجداده تلقب به، ومع هذا فإن عائلة الغشري معروفة وموجودة في عمان في بلدة العوابي.[١٠]

٥- صلته بالأئمة :

يظهر لنا من الاطلاع على ديوان الغشري أن الشاعر كان متصلا بأئمة عمان الذين عاصرهم وتولوا الإمامة في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر ميلادي)، وهم الإمام سلطان بن مرشد اليعربي[١١] والإمام بلعرب بن حمير اليعربي[١٢] والإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي[١٣].

ولقد كانت بينه وبين كل واحد منهم صلة وتواصل ولم تذكر لنا كتب التاريخ طبيعة هذه العلاقة؛ وبناء عليه فإننا نجده مع الإمام سلطان بن مرشد موجها وناصحا فقد أرسل إليه قصيدة ينصحه فيها ويرشده إلى كيفية سياسة الدولة كأفضل ما تكون، وتذكر كتب التاريخ أنه في عهد إمامة سلطان بن مرشد وقعت أحداث سياسية شديدة جعلت عمان مضطربة الأوصال[١٤]، ولعل فراسة الشاعر بالمسؤولية الملقاة على عاتق الإمام سلطان دفعته إلى أن يوجه إليه النصح حاثاً إياه على النظر بعين البصيرة إلى الدنيا والتفكر بعقل وروية في أمر السياسة فمن ذلك قوله:

إلَيْكَ إمَامَ المُسْلمينَ نَصيحَةً
ونُصْحِيَ يبدُو لائحاً في مَقالتِي
ألا فَانْظرِ الدُّنْيَا بعيْنِ الحَقارةِ
وَلا تغتبطْ مُسْتبشرًا بالإمَارة
فَذلِكَ سُلطانُ سُلالة مرْشِدٍ

هُوَ اليعْرُبيُّ المُرتضَى ذو السَّطاوَةِ
وَكنْ خاضِعاً ذا عِفةٍ مُتواضِعاً
صَبُوراً شكوراً زاهداً ذا إنابَةِ
ومسْتعمِلاً أهْلَ الأمانةِ راغِباً
لدارٍ سِوَى دنياكَ دارِ المقامَةِ
فمَا عَرفَ الدُّنيَا وقلةَ حظِّها
سِوَى السَّادة الزُّهَاد أهل الإنابةِ
ولا تحتجِبْ عنَّا وعجِّلْ مثوبَةً
لمحسِنِنا والصَّفحُ عندَ الخِيانَةِ
ألا واغلِقَنْ بَابَ المطامِعِ كلِّهَا
ولا ترخَّصْ طالِباً للتِّجَارةِ

كما أنه كان متصلا بالإمام بلعرب بن حمير وكتب هذا الجواب وفيه بيان لرأيه فيما تركه السيد سيف بن سلطان الثاني من أموال قد جمعها بسبب الحرب الطاحنة التي عاشتها عمان مدة إمامته، ولقد ورد في الجواب أن الشيخ لم يكتبه وحده منفردا بل كتب معه الشيخ محمد بن خميس[١٥]، نورد بعضا منه:

هذا خط كتبناه للسيّد بلعرب بن حمير حين رأيناه إشارة يشير إلى الحكومة بمال السيد سيف بن سلطان كتبناه بمطلب أحد الوارثين لنا فهذا مَا كتبناه للسيد بلعرب نصيحة عن الدخول فيه:-

بسم الله الرحمن الرحيم، للسيِّد المحامي على دولة المسلمين، المجاهد الأمين، شهاب الإسلام الثاقب، وسيفهُ الباتك القاصب، إمام المسلمين ، ونظام المؤمنين، بقيّة من تمسَّك بالدّين ، بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربي، ثم إلى قاضي المسلمين، وإمامهم في الدين، شمسُ فلك الجلالة والكمال، وقطب رجاء العلوم والأعمال، ويأتي هذه الأمّة، سَامك السؤدد والهمَّة، الزَّاهد الوقّاف....

كذلك كانت بينه وبين الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي مراسلة، وذلك بعدما بويع بالإمامة سنة ١١٥٨هـ وفي القصيدة توجيه وإرشاد ونصح للقيام بأمر الله والنصح للمسلمين وذكر مناقب الإمام ودوره في طرد الفرس الذين غزو عمان في ذلك العصر حيث يقول:

عُجْ عن وِصالِ ذواتِ الغنْجِ والحَوَرِ
المائساتِ ذواتِ الرونقِ النضرِ
منْ كلِّ فتَّانةِ العينين واضحةِ الـ
خدَّيْنِ مَيَّاسَةٍ دُرِّيةِ الأَشَرِ
ثقيلة الرَّدْفِ لفَّاءَ إذْ خَطَرَتْ

شمسّية الوجهِ بلْ لَيْلِيّة الشَّعَرِ
هفَا كعوبٌ لعوبٌ غادةٌ فنقٌ
مِسكيَّةُ النَّشْر ذاتُ الخاتمِ العطرِ

إلى أن قال:

واستعمِلْ العفوَ إنَّ العفوَ يعقبُهُ
صفوُ المودةِ بعدَ الغش والكدرِ
واخرسْ شقاشقَ مَنْ ضلَّ مرتقباً
لفترةٍ منكَ واحذرْ غايَةَ الحَذَرِ
واعدُدْ عسَاكِرَ وابْذلْ ما حَويْتَ منَ ال
أموالِ فِي عِزَّ دينِ اللهِ والظفرِ
وانبذ مقالةَ سَاعٍ يبتغي فِتَناً
وصُدَّ عنهُ وكنْ منهُ لفِي وَقَرِ
وفِي الأمورِ استشرْ يوماً إذا سَنحَتْ
مِنْ كُلِّ علامة طِبٍ وكُلّ درِ
وَإنْ أتتْ فِتَنٌ كالليلِ مظلمة
فكنْ أخَا بصَرٍ بالرْأي واتَّزِرِ

٦-مؤلفاته:

إن أهم ما تركه الغشري هو ديوانه الذي طبعته وزارة التراث والثقافة سنة ١٩٨١م، كذلك ترك الغشري بعض المسائل العلمية والجوابات الفقهية التي ضمنها ديوانه، وله كذلك مقامة سماها المقامة السونية وله خطبة في المأكولات وجواب من السيد بلعرب بن حمير ضمنها آخر الديوان، وله أرجوزة في الأدب والسياسة وأراجيز أخر في موضوعات شتى، وغيره الذي لم يحظ بالنور بعد.

الأغراض الشعرية في الديوان:

«إن وحدة الأغراض في القصيدة هي الوجه الآخر للشكل الذي يتكون من عناصر مستقلة في ذاتها، تترابط منطقيا في إطار الشكل الذي يمثل قيمة مضافة»[١٦] فالشاعر الغشري سار على منهج واضح في شعره، فهو إن مدح أو تغزل أو رثى فإنه لا يخرج عن إطار الأدب والعفة والأخلاق الإسلامية، و من هذا المنطلق فقد طرق الغشري وهو شاعر إسلامي أغراضا شعرية متنوعة، كالغزل والرثاء والمدح، ولكنه لم يكن مكثرا إلى الحد الذي يمكننا أن نصنَّفه من شعراء الدرجة الأولى في الأغراض السابقة بل هو قد حصر نفسه في الوعظ والزهد والدعوة إلى الله وتقواه وطلب العلم الشريف، وهو مع ذلك يعد متأثرا بالشعراء السابقين في نظم الشعر فهو

عندما يمدح مثلا فإنه يستهل قصيدته بالمقدمة الغزلية، وسنأتي بما تيسر من ديوانه في أغراض الشعر المختلفة التي نظم فيها على سبيل التمثيل لا الحصر.

أولا: الغزل:

فالغزل عند الغشري غزل عفيف ابتعد فيه عن الفحش في القول والمبالغة في التشبيب بجمال النساء، بل مزجه برقة العاطفة، و رونق التعبير وجمال التراكيب، «وإلى الشاعر يرجع العربي ليتعرف على القيم والأخلاق الفاضلة، ويستقصي المناقب التي تستحب من الإنسان في حياته الخاصة أو حياته الاجتماعية»[١٧]، فهو يستعمل الغزل كسائر الشعراء في المقدمة الغزلية، وقد تطول به تلك المقدمة إلى درجة تصلح أن تكون قصيدة مستقلة، وقلما تجده ينظم الغزل لذاته كما في القصيدة الآتية:

حَبَانِي حَبِيبِي بالمطالِ وعندَهُ
حَلالٌ دمُ العُشَّاقِ وهوَ مُبَاحُ
فَلا هُوَ مُدْنيني ولا هُوَ مُبْعِدِي
وفِي ذاكَ قتلِي والمزاحُ مزاحُ
يطمِّعُنِي بالوصلِ ثُمَّ يقولُ لِي
لعلكَ مَنْ بعدِ التَّراحِ تُراحُ
فصُرْتُ دنيفاً لستُ أسلوهُ طرْفَةً
ولا عنْد شُرْبُ الراحِ منْهُ أراحُ
حلالٌ لهُ روحِي وليْسَ ينالُهُ
بتكسيرِهِ منِّي الجَناحَ جُنَاحُ

فكما نرى أن الشاعر يأتي بألفاظ يستجلبها من قاموسه العربي موظفا فيها التناغم الصوتي والدلالي، فمن حيث توظيف حرف الحاء وهو حرف من حروف الهمس الذي عادة ما يكون بين المتحابين عشقا من همسات ونسمات، والتجانس اللفظي بين الكلمات: (فالمُزاح، مُزاح) و(التَّراح، تُراح) و (الراح، أراح) و (الجَناح، جُناح)، فهذه الألفاظ أوحت بمعانٍ تأخذ بتلابيب المتلقي، وتشير إلى المرامي والمقاصد التي يريدها الشاعر، وباستعمالها بوصفها رموزًا أدبية فإن الشاعر يُحلق بنا إلى فضاء آخر وعالم من التناغم بين الألفاظ والمعاني.

ويقول في القصيدة الآتية واصفا لقائه بالغواني، مفتتحا بها:

تَذْكَرْتُ يَومَ الطلِّ والظلُّ عَاكِفٌ

وَذلِكَ يوْمٌ فِي الزمانِ عَجيبُ
وللرَّعْدِ تَسْبيحٌ وللوبلِ هَدَّةٌ
ووادٍ لَهُ فِي الجَهْلَتيْنِ قَسِيبُ
أقمْنَا بِهِ والغانيات بِهِ معا
ولا طَارِقٌ إلا صَبًا وجَنُوبُ
وَكَيْفَ سَبيلٌ للرَّقِيبِ ودونَهُ
تلاطمُ موْجٍ لامعٍ وعَسيبُ
يقلْنَ الغَوَانِي ليْتَ ذا الوبْل سَائِرٌ
و يَا ليْتَ شمْسَ اليوم ليْسَ تغِيبُ
رَعَى اللهُ أيَّامًا مَضَتْ مثلَ لمْحَةٍ
فيَا ليْتَ أيَّامَ الشبابِ تئوبُ
لياليهِ نورٌ والنَّهارُ فزهوةٌ
وعيدٌ لنَا فيهِ النعيمُ ضروبُ

إن تدين الشاعر لم يمنعه من إيصال رسالته، بأن للأدب وظيفة في الوجود غير التي لم تظهر لمستقرئي النص الظاهري، فهو يبين عفته ورقيه الذي ينبغي أن يتناوله الشعر عموما والإسلامي خصوصا. لقد كان للزمان والمكان أثره في نفس الشاعر يوم التقى بالغانيات -كما يصفها- حيث إنهنَّ تعلقن به، وذلك كان في زمن شبابه مصورا بأنه النعيم فيه النور ليلا وكأنها أيام عيد.

ثانيا: الرثاء:

لقد نظم الشاعر القصائد في الرثاء و حصرها فيمن هم قريبون إلى قلبه، من العلماء و أبنائهم و الصالحين والأقرباء من الرجال والنساء، وأكثر من رثاهم الشاعر هم أبناء الشيخ خميس بن مبارك بن يحيى الخروصي - رحمه الله - كما يظهر في الديوان؛ ولعل ذلك راجع إلى توالي الوفيات عند الشيخ خميس حتى أنه رثى الشيخ خميس بعد وفاته، فمن ذلك قوله يرثي أبناء الشيخ خميس:

إليكمْ بنِي الشيخِ الفقيهِ خميسنا
عظاتٌ بليغاتٌ لهَا العينُ باكيَةْ
ثلاثةُ إخوانٍ سراعا ترحّلوا
بأشهرَ إنْ عدَّتْ تروهَا ثمانيةْ
سليمانُ فِي بحرٍ وعبْدُإلهِ
ورمْثَةُ قدْ غيلا بأفظعِ داهيَةْ
بقبريْهِمَا حَلاّ تنوحُ عَليهِمَا
بناتُ الثرَى بعدَ الفضَا والرفاهيَةْ
وبعدَ بشاشاتٍ لهمْ وصباحةٍ
عظامهمَا أضحتْ عَلى الترب باليَةْ

التأوُّهات والآهات التي يحاول

الغشري أن يكبتها في جوفه تُظهرها قوافيه واختياره للروي (باكية، ثمانية، داهية، بالية)، فليس سهلا على شاعر يملك ذلك الحس المرهف، والموهبة الأدبية أن يظل مكبوتا بعاطفته الحرى وهو يرى توالي الوفيات في أرحامه وأصدقائه.

وله أيضا يرثي الشيخ سالم بن راشد الفارسي العلياني، مصورا هول الفاجعة التي حلت بقريته العليا وساكنها، وأنه العالم اللوذعي الفطن، فبوفاته غيض بحر العلم وانهدَّ طوده حيث يقول:

اَللهُ أكبرُ هَذا الخطبُ قدْ عَظُمَا
وَكُلُّ قلبٍ بنارِ الوجْدِ قدْ وُسِمَا
لَمْوْتِ سالِمَنا الأوّابِ قدْ سَفَحَتْ
كُلُّ العُيونِ عَليهِ بالشؤونِ دَمَا
عَمَّتْ مُصِيبتهُ العَليَا وساكنَهَا
كَادَتْ تورِّثُ فقداهُ العُيون عَمَى
حُسْنُ العزاءِ لكمْ فيهِ إذا وَلنا
يَا آل فارس فيمَا بينَنَا قسمَا
فليْسَ بالوجْدِ أوْلي أنتمُ وَلقَدْ
صَرْفُ الزَّمَانِ كوانَا كلنَا وَرَمَا
يَا حبَّذا لوْذعِيٌّ عَالِمٌ فطِنٌ
رَقى عُلُوا عَلى أقرانِهِ ونَمَا
قدْ غِيض بحْرُ عُلومٍ زاخرٍ غدقٍ
وانهَدَّ طوْد مَنْ الأطوادِ وانهدَمَا
يَا عيْنُ جُودِي عَليهِ بالدُّمُوعِ مَتى
مَا لاحَ بَرْقٌ وسُحْبٌ بِالهَتونِ هَمَا

هول المصاب الذي أفجع شاعرنا وأدى به إلى تصوير الأمر مقسوم بينه وبين ذويه، إذ كادت أن تسفح العيون دما حزنا وألما لفراق المتوفى، فهو يُسلم الأمر لله إذ إن ذلك أمر وسنُّة محتومة بين الأشراف والعلماء الأفاضل؛ لأن ذلك إيذان بغياض بحر العلم راجيا أن يكون حزنه متواصلا كلما لاح البرق فالعين تجود بدمعها والسحب تهمي بغيثها، فتوظيف هذا الرمز -أي السحب - له دلالة معنوية في تغير حال الشاعر وكذلك الواقع الذي يلتف حول الشاعر، ولأن هذه الحادثة أو كما يسميها الشاعر المصيبة قد عمت العليا وساكنها.

والشاعر لم يفته رثاء النساء العالمات، فهو يوظف الكلمة الطيبة في الموضع الملائم لها، فشاعر كالغشري

يرى أن من واجبه توظيف موهبته الشعرية لخدمة الدين وأهله، إذ يقول راثيا الشيخة العالمة بنت راشد بن حميد البهلوية[١٨]، حيث يصفها بأنها تزن ألفا من الرجال، حيث كانت عينا لبُهلا بفضل علمها حيث يقول:

لقدْ غِيضَ بحْرُ العلمِ وانهَدّ طوْدُهُ
وأضْحَىَ لواءُ الدينِ مُلقى الدَّعَائِمِ
وإنّ سَمَاءَ العلمِ غيَّبَ شمسُهُ
وَقطْبُ رحَى علمِ الهُدَى غيْر قائِمِ
لسيّدةٍ مِنْ آل قحْطانَ غُودِرَتْ
ببْطنِ الثرَى مَثوَى العِظامِ الرمَائِمِ
أعزّي إمَامَ المُسْلمِينَ بموتِهَا
كَذلِك كُلُّ المُسْلِمين الأكَارِمِ
لقدْ هوّنتَ فِي الدِّينِ كُلّ مُصيبةٍ
مُصيبتُهَا فِي الدِّينِ أمُّ العَظائِمِ
حَوَتْ عِلمَ بحْرٍ مَعْ زهدِ مرْيَم
ومَنطِقَ سحبانَ وحِلمِ ابنِ عَاصِمِ

إن هناك أدوات رمزية يستعملها شاعرنا وهي تحيط بأدبه وموهبته الشعرية ومن أهمها البحر، نعم البحر رمز للسعة في كل شيء وخاصة العلم، فهو يرمز به إلى علو شأن العلماء من الجنسين، إذ لم يفته أن يرثي النساء العالمات في زمانه ويصفهن بالبحر، بالإضافة إلى رمز آخر وهو السماء وقطب رحى العلم.

ويقول راثيا معلمه الشيخ الفقيه خميس بن علي بن محمد بن كهلان، مصورا لنا هول الفاجعة، واصفا إياه بالنباهة والحجى، وأنه الناسك الأواب، متسليا بوفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وأن الإنسان لابد بأن يرضى بقضاء، الله ففيه يستوي الذليل والمقدام والغني والفقير:

هِيَ الأُرْبا تجْرِي الدموعُ لهَا دماً
وتنصدعُ الأكبادُ والظهْرُ يُكْسَرُ
بموت خميسٍ ذي النباهةِ والحِجَى
فمنْ دونَه فِي الحلمِ قيسٌ و زهرُ
هوَ النَّاسِكُ الأوَّابُ إنْ عُدَّ ناسِكٌ
هوَ رجُلُ الدنيَا إذا عَزَّ مَصْدرُ
فهَا يحمْدُ الرّسْتاقِ قدْ هُدَّ طودُهَا
وبحرُ نداهَا غيض والوجهُ أغْبَرُ
فلا غروَ إنْ أودَي وقدْ مَاتَ قبلهُ
نبيُّ الهُدَى وهوَ الرسُولُ المطهَّرُ

بطبيعة المجتمع العماني مجتمع متلاحم مترابط ترابطا اجتماعيا أصيلا؛

ولذا نرى الشاعر في أكثر تعازيه يعزي القبايل والعوائل ويواسيهم، فالقبيلة عند الغشري تمثل رابطة أواصر أفرادها.

فتارة يذكر بني خروص، وتارة قبيلة اليحمد، بل في بعض الأحيان نجده يذكر آل قحطان، كما في مرثيته للمرأة العالمة.

ثالثا: الوعظ والإرشاد:

أكثر الشاعر من المواعظ وجعل لها قسما هائلا لا يستهان به، وأخذت الحيز الأكبر من الديوان، إذْ إنه يطالعنا منذ القراءة الأولى له بالكم الأكثر والجانب الأوفر به، حيث يقول في إحدى قصائده منفرا من الدنيا وآفاتها داعيا إلى الزهد فيها ونبذها، محرضا إخوانه إلى تطليقها وذلك بالإقلاع عن الذنوب والإقبال إلى الآخرة:

متى هـذهِ النَّفس الدنية تتـْركن هـواها
وفـي علـم الشريعة ترسخ
وتقلع عن كسب الذنوب بتوبة تمحِّص
كل السيئات وتنسخ
وترغب في الأخرى تقى وتكرمًا
وتعرج عن دار الغرور وتشْمخ
فإنَّ خطُوبَ الدهر ليس تطيقها جبال
منيفات سوامك شمخ
وأفجع داعٍ للرحيل إذا دعا منادي المنايا
حيث يدعو ويصرُخ
فيا من مشى فوق البسيطة فاخِرًا ففي
جوفك الشيطان لازال ينفخ

النصح من شيم الصالحين، ونحن بعد أن مررنا على سيرته وجدنا فيه من شيم الصلاح ما يؤهله أن يكون إماما للإرشاد والنصح في زمانه، فالشاعر يعلم أن هوى النفس هو سر انحدارها إن هو اتبع هواه، وإن خالفه فالخير كل الخير في مخالفة الهوى، فالغاية من مخالفة الهوى هي التوبة النصوح، لكي تحقق التقوى في الحياة.

وكذلك نجده داعيا إلى الارتقاء في سلم الهدى إلى قمة المعالي السامقة، مستعملًا جوارحه في ذلك، حاثا نفسه والآخرين، إلا أن طريق الهدى يحتاج إلى الجهد والمجاهدة:

تنبَّهْ فَإنَّ المرءَ غيْرُ مُخَلّدِ
وَلَيْسَ عَلَيْهِ عُمْرُهُ بُمسَرْمَدِ
وإنّ فتَى الفتيانِ مَنْ راحَ طالِبا

صُعَودَ المعَالِي واكتساب السؤدَدِ
وَلَمّا يَزلْ عَنْ عَرضِهِ بلسَانِهِ
وصَارمُهُ بالذبّ فِي كُلّ مشهدِ
وقرضا بِهِ لَمّا يزلْ باترَ العِدَا
إذا التفَّتِ الأقرانُ فِي كُلِّ فدْفَدِ
وَمَنْ كَانَ سهْلَ القودِ للحَقّ والهُدَى
ومَنْ كَانَ صَعْبَ القودِ للباطلِ الرَّدِي
وذو همةٍ نحْو المعَالي تقودُهُ
ألا إنَّهَا تعلُو عَلى كُلِّ فَرْقدِ

إن التصويت الخفي الذي يستشف من مرايات الشاعر الخيالية، يحرك الهاجس في كل مؤمن؛ ذلك لأن عقيدة المسلم أن يوما آخر للإنسان غير هذا اليوم، وفي ذلك اليوم تُرى وتعرض الأعمال، فعلى الإنسان أن ينتبه ويكسب معالي الأمور، وأن الحق اختياره لينال درجة الهدى والصلاح، مبتعدا عن الباطل.

والحق أن الغشري شاعر عاش في الزهد ونظم فيه و دعا إليه وحثَّ الملوك والأمراء بل العلماء و الإخوان والأصحاب ووصف به أحبابه وخلانه وبالتالي كان الزهد عند الشاعر هو المخرج من ضيق الدنيا وبلوائها بل إن السعيد عنده من زهد فيها ورغب فيما أعده الله للصالحين.

رابعا: التأريخ للأحداث:

لقد عاصر الشاعر حوادث ووقائع سجلها، تأريخا لها وحتى يتسنى لمن يأتي بعده أن يتعرف على مجريات ذلك العصر، وما يتخلله من فكر، وهذا الغرض تجده بين حنايا الديوان، فمن ذلك قوله في قصيدة مؤرخا لأحداث أمطار أفسدت الزرع، فهو يدعو قومه إلى العودة إلى الله والتوبة من المعاصي حيث يقول:

لِستٍ وَألْفٍ بعْدَها مائَةٌ مَضَتْ
كَذا أرْبَعُونَ مِنْ سِنين تخلتِ
لِهِجْرةِ خيْرِ الخلقِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
أتتْنَا سُيولٌ مِنَ سَحَابٍ تَخلَّتِ
فأفسَدَ أثمارَ النخيلِ وزرعَنا
يكادُ فقيرٌ لمْ يجدْ مِنْ تقوَّتِ
وَذلِكَ مِنْ أحَداثِنا وفسادِنا
وأحزابُ أهلِ البغي فِينا تقوَّتِ
رؤوسُ فسوقٍ فِي رقابِ نفاقها
فلا يسْتقيمُ الحَقُّ إذْ لمْ تشتَتِ

هيَا نفْسُ صَبْرا إنْ لله نقمة
عَلى مَنْ عَصَاهُ فاتّقِي مَا تبيتِ

فالشاعر يربط بين ما يحدث للإنسان من مصائب وأحداث بفساد أعماله، وجور أهل البغي، ولذا نجده يدعو إلى صون النفس والتقوى ومحاربة الباطل.

ويذكر في قصيدة ما أصاب نزوى وما حل بأهلها من قتل وسبي وانتهاك للأعراض، وفيها يحث الشاعر قومه على التقوى والعمل الصالح دون أن يذكر السنة التي وقع فيها، وهناك ملحظ جميل إذ إن الشاعر قد مزج بين الزخرفة اللفظية والتجانس بين الكلمات والتراكيب مع المعنى الذي كان يرمي إليه. حيث يقول:

خليليَّ إنْ حَرْبٌ بنَزوى عَجَا بها
رِكابكُما بَلْ حَدّثا عَنْ عُجَابِهَا
لأنّ العِدا قدْ كَشَّفتْ عَنْ حِجَابِهَا
وَحلّتْ أمورٌ مَا يَطِيشُ الحِجَى بِهَا
كَفى عظةً مِمَّا بنزوى أصَابهَا
وَقدْ طعمَتْ بعدَ اللذاذةِ صَابَهَا
فكَمْ مِنْ شهيدٍ ألمَعيّ ثوَى بهَا
فطُوبَى لنفسٍ أبهجتْ بثوابِهَا
وكمْ غادةٍ حَسْنا بأعْلى قِبابِهَا
سَبَاهَا لئيمٌ بَعْدَ إغلاقِ بابِهَا
وَقدْ مَطرَتْ بالنّحسِ جون ربابها
بإثرِ مسرّاتٍ عَلى من ربا بِهَا

خامسا: الإخوانيات:

ولقد كانت لشاعرنا الغشري مراسلات أدبية بينه وبين شعراء عصره، ومجال الإخوانيات عند الغشري مجال واسع يشمل العتاب والتهاني والتعازي والدعوة إلى إصلاح المجتمع، فلطالما وجه عتابا إلى قومه مخاطبا الشيخ خميس بن مبارك الخروصي، و لائما قومه على ما يراه من سوء سيرتهم، وقبيح سريرتهم، داعيا قومه إلى الوقوف في وجه الباطل، وإقامة العدل وإن دفعوا أرواحهم ثمنا لذلك. حيث يقول في مطلع القصيدة:

إليْكَ إليْكَ وَالِدَنا جوابا
وعذراً يدفعُ الدّاء الدفينَا
عَمَمْت بظاهرِ الأبياتِ طرّا
وقدْ أبهمْت قوْمَاً مُضمرِينَا
رِجَالٌ همّهم كَسْبُ المَعَالِي
جبَالٌ الحِلمِ حَتفَ الفاسِقِينَا
لهمْ بَيْنَ البريَّةِ أيُّ فخرٍ

ونَسْلٌ بالأبوّةِ مُقتدُونَا
فمدْحِي للأولى حَقُّ وهجْرِي
كَذاكَ لبعْضِ قوْمٍ آخرِينَا

ثم يعرج إلى الغاية التي من أجلها وجه إليه خطابه إذ يقول:

فإنْ كَانَتْ بقايَا الأزدِ فيكمْ
دعُوا للسيفِ فِي الدُّنيا حَنِينَا
أقيمُوا للحُروبِ رحىً طحُونا
ولو أنِّي أكونُ بهَا طحِينَا
إلى أنْ يسْتقِيمَ الحقّ جُهْرا
وإنْ متّمْ فأنتمْ مُعذرُونَا
فإنْ نصْرٌ فذلكَ مِنْ إلهَي
وإنْ حتفٌ فأنتمْ رابحِونَا
إذاً صرْتمْ لجنّاتٍ وحُورٍ
وكنْتمْ للحَبيبِ مجاوِرينَا

الشاعر عاش حقبة الإمامة وهي تمثل له معنى عظيما، ولذلك نرى مراسلاته إلى بني عصره فيها دعوة إلى قيام الحق ومدح أهل الصلاح وذم الجائرين من أهل الباطل، ونرى فيها حرصا على إخوانه من أن يقعوا في فساد الأعمال واتباع أهل الجور.

ويقول في قصيدة مهنئا إخوانه بصوم رمضان وعيد الفطر:

هنيئاً لإخواني بعيدٍ وشهرِهِ
فصومُكم للشهرِ أسْنى الخلائقِ
ألا كلُّ طاعاتِ الإلهِ حميدةٌ
وليسَ كبَذلِ النَّفسِ طوْعاً لخالِقِ
ومجمَعُ كُلِّ الخيرِ دنيا وضدِّها
يُرَى بيْنَ لمعاتِ السيوفِ البوارقِ
وإنَّ الفتى يحْظى بفضلِ إلهِهِ
بتشميرِ عنْ ساقٍ وتركِ العوائِقِ
ألا بالتَمادِي ينقضِي العمرُ ضائِعاً
فيندمُ بطَّالٌ غداةَ الحَقائِقِ

قصائد الغشري وأدبياته لا تخرج عن الإطار الإسلامي الموجَّه نحو الإصلاح، فكما وجدناه في أحايين يعزي إخوانه ويواسيهم على ألم الفقد، ليبعث في نفوسهم الأمل، وأن المصاب واحد، فكذلك وجدناه يزف إليهم التهاني والبشارات، بما يجود الزمان مما يسرُّ المؤمنين، فالتهنئة بقدوم شهر الصوم، تعدُّ من أعظم التهاني، وقد يبعث بسلام لصديق أرسل له تهنئة شاكرا له جميل فعله:

سَلامُكَ وافانَا فعطَّرَ دارَنا

بِهِ انجَابَ عنّا حندس وَظلامُ
ودونَكَ أضعافُ التحياتِ خيّمَتْ
وَجَاءَ بهَا مِنِّي إليْكَ نِظامُ
عَليْكَ تحيَّاتٌ ورَوحٌ ورَحْمَةٌ
ورَيْحَانُ ربِّي دَائِمُ وسَلامُ
يَخصُّكَ شيخَ المَنذرِينَ ثمَّ مَنْ
حَوتْ حِكْلُ يوْماً وَطابَ مَقامُ
وَلا سِيَّمَا الشيخ المُقيمُ بدارِكُمْ
لَكُمْ خلَّفتهُ سَادَةٌ وَكِرَامُ

وهو عندما يذكر إخوانياته إنما يذكر المكان وما يحويه من أرحام وقُرى؛ لأن ذلك بطبيعته مرتبط الوجدان بمعالم تلك الأماكن ومن يسكنها.

سادسا: المديح:

لقد مدح الشاعر العلماء والصالحين من أئمة عمان، ولم يكن متكسبا بل كان ينفي عن نفسه هذه الصفة ويربأ عنها، ولم أجد في ديوانه أنه مدح الملوك والسلاطين حبا للتكسب؛ ولذا نجد أكثر مدحه إسلاميا عفيفا، فهو يمدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- وكذلك الصالحين السالفين من أئمة عمان وعلمائها؛ حيث يقول في مدح الرسول الكريم، إذ بدأها بمزيج من المقدمة الطللية والغزلية، كما هي عادته في نظم الشعر:

يزيدُ مَا بِي أنْ بَدَا بَارِقٌ
وحَنَّ رعْدٌ نحْوَ تلكَ البِطَاحْ
وخفَّضَ المُزنُ جناحيْهِ مَا
بيْنَ الكثيبِ والصفا والمُراحْ
وقدْ كَسا القَرنُ معَ السِّنِّ مِنْ
مدارعٍ بيضٍ وتلكَ السِّفاحْ
وبعدَ حِينٍ قد تجلينَ عَنْ
غَمَائمَ مُدَّتْ بأقصَى البُرَاحْ

ثم يدخل في ذكر سجايا الممدوح:

محمدُ المبعوثُ خيرُ الورى
وخيرُ من أدفِن تحت الصفاح
كفَى اختراقُ السَّبْعِ مِنْ رُتبةٍ
كذاكَ يومُ النصرِ والافتتاحْ
ويومَ بدرٍ وحنينٍ أتَتْ
ملائكٌ قدْ أُحضِرَتْ للكِفَاحْ
فأيَّدَ اللهُ بهِمْ عبدَهُ
وأهلكَ الكفارَ طعنَ الرِّمَاحْ

إن مدح الأنبياء والأولياء الصالحين هو دأب المصلحين من الشعراء غير الغاوين؛ ذلك لأنهم يتمثلون الآية

فهم يقولون ما يفعلون، فإيمانهم يربأ بهم أن ينافقوا أو يجاملوا في قولهم وفعلهم فضلا عن قولهم.

سابعا: الشعر التعليمي:

وله باب واسع في الشعر التعليمي من الأراجيز والمقطوعات الشعرية التي أجاب عنها، فمن ذلك أرجوزة نظمها في الأدب والسياسة وهي المسماة (المهدية) التي يقول في مطلعها:

الحمدُ للهِ المليكِ القادرِ
الواحِدِ الفردِ العزيزِ القاهِرِ
منزَّهٌ عنْ والدٍ وعنْ ولدْ
وعنْ وزيرٍ عندهُ وملتحدْ
جَلَّ عنْ الأندادِ والأشكالِ
ذو البطشِ والقوةِ والمحالِ
يَرَى دبيبَ النملةِ السوداءِ
فِي ظلماتِ الليلةِ الليلاءِ
مسخّرُ الطيرِ عَلى الهواءِ
وخالقُ الأرضِ معَ السماءِ

إن الحديث عن شعر الرجز يدفعنا إلى الحديث عن الشعر التعليمي، الذي كان يحوي قديما وحديثا أراجيز، ضمَّنها أصحابها كثيرًا من أبواب العلم المختلفة، ولم يكن شاعرنا بمنأى عن توجهات شعراء الرجز في استعمالهم له، وكيف لا وعمان قاطبة تزخر بأراجيز علمية كثيرة.

و في أرجوزة أخرى جاءت بعنوان (في خصال مستحسنة ومكروهة) يقول في بعض أبياتها:

خمسةٌ أشياءٍ بلا جدالِ
تورّثُ الحفظَ بكلِّ حالِ
أكلُ الحلاواتِ وأكلُ اللحمِ
مِمَّا يلي العنقَ بغيرِ وهمِ
كذاكَ أكلُ العدسِ المعمولِ
وخبزكَ البارد للمأكولِ
وآيةُ الكرسيِّ للقراءةِ
مثالهَا عنْ كلِّ ذي إثارةِ
وتورثُ النسيان قالوا عشرةْ
وجدتهَا مرفوعةٌ مسطرةْ
أكلكَ الشيءَ على الجنابةْ
والعبثُ بالذبذبِ في العيابةْ

وهذه الآراء المطروحة في هذه الأراجيز، قد تكون مما يُذكر في كتب السير والأخبار، أو مما تناقلته كتب الآداب.

وكذلك أراجيز متعددة الأغراض كتقطيع الثياب و لبسها، وما يجوز للرجل نكاحه من النساء، وكذلك في معان مستطرفات، وما يجوز للشاعر من ضرورات من ذلك قوله فيما يجوز للشاعر:

الحَمْدُ للهِ العزيزِ القادِرِ
الواحِدِ الفردِ المليكِ القاهِرِ
منفرِدٌ بالملكِ عنْ ظهيرِ
وعنْ معينٍ عندهُ وزيرِ
ذِي الحولِ والقدرةِ والسلطانِ
والمَنِّ والنعمةِ والإحسَانِ
وبعدَ ذا هاكَ الذِي أجَازُوا
لناظِمِ الشعرِ هوَ ارْتجازُ
فجائزٌ صرفُ الذِي لا ينصَرفْ
لكلِّ ذِي شعرٍ مقال المعترِفْ
وتركُ مصروفٍ لهُ قدْ جوَّزوا
قومٌ منَ الكوفةِ إذ هم ْميَّزوا

ومن هذه الإضاءة يتضح لنا أن الشاعر لم يحصر نفسه في غرض شعري واحد بل تعداه، حيث وضع في مضمونه المعاني والأفكار وألبسها جميل الألفاظ السهلة، بغض النظر عن مضمونها.

الخصائص الفنية في الديوان:

١ - الخصائص الأسلوبية:

لكل شاعر مميزاته التي تميز شعره عن غيره من الشعراء، وإن من أهم الخصائص الأسلوبية لشعر الغشري هي:

أ- براعة الاستهلال:

براعة الاستهلال فن يستعمله الأديب مشيرًا إلى مقدمة موضوعه، وإن أحسن الشاعر اختيار الكلمات الاستفتاحية؛ فإن قصيدته ستنال لفت الانتباه والرغبة في سبر أغوار معاني الشاعر، وهذا ما نجده عند الغشري حيث يستهل بعض قصائده بمطلع قد انتقاه وميَّزه من حيث مفرداته وحسن نظمه وتركيبه، حيث يطالعنا في بعض قصائده موظفا المقدمة الطللية في مدح التنقل وثناء بلده الرستاق إذ يقول:

نَقِّلْ ركابَكَ لا تبكِ عَلى الوطنِ
والعزَّ فاطلبْ مَتى مَا عِشتَ فِي الزمنِ
ولا يغنيكَ خرعوبٌ منعَّمةٌ
هيفا مخلخلةٌ بالعسجدِ اللّدنِ
بكرٌ منعمةُ الأطرافِ مائسةٌ
تزرِي عَلى الخوطبانِ الرطبِ فِي اللبنِ

رجراجة الردفِ إنْ مَاستْ وإنْ خطرتْ
تمشِي وترفلُ فِي الإبريسمِ الحسنِ

فكما نلاحظ أن مقدرة الشاعر على سبك الألفاظ، وحسن اختيار الكلمات، دفعت المتلقي إلى تقبل القصيدة بما حوته من خيالات وصور فنية مستلهمة من روح القصيدة العربية قديما، إلا أنَّ شاعرنا يفعل ذلك بدافع رفع الهمة و استهاض العزائم، بل ويدعو إلى عدم الاغترار بهذه الدنيا الفانية وما تحويه من زخارف وبهارج تلهي النفس عن المقصد الذي من أجله خلق الإنسان.

وقد يبتدئها بالغزل ومحاسن المحبوبة لغرض المديح، حتى وكأنه يدعو القارىء ويحثه إلى مواصلة القصيدة بأكملها لأجل أن يوصله إلى الغرض الذي من أجله نظم القصيدة، كما فعل القصيدة الآتية:

عُجْ عن وِصالِ ذواتِ الغنْجِ والحَوَرِ
المائساتِ ذواتِ الرونقِ النضرِ
منْ كلِّ فتَّانةِ العينين واضحةِ الـ
خدَّيْنِ مَيَّاسَةٍ دُرِّيةِ الأَشَرِ
ثقيلة الرَّدْفِ لفَّاءَ إذْ خَطرَتْ
شمسية الوجهِ بلْ لَيْلِيّة الشَّعَرِ
هفَا كعوبٌ لعوبٌ غادةٌ فنقٌ
مِسكيَّةُ النَّشْرِ ذاتُ الخاتمِ العطرِ
دَعْها فكم سَحَرَتْ بالسحرِ ذا غَرَرٍ
وخَلِّها لِأُلي البأواء وابتكرِ

فمقدمته ليست في استيقاف الأصحاب والبكاء على الدمن، وإنما هي في الغزل العذري العفيف، من دون التعرض إلى أشخاص بعينهم، وبعيدا عن الابتذال في القول؛ وذلك للتوهج العاطفي لديه، والاسترسال في الصور الجمالية.

وله أيضا في المقدمة الغزلية، إذ يمتدح فيها الرسول -عليه الصلاة والسلام- إذ يقول فيها:

خَطرَت تَميسُ تبختراً وتوأدا
فضَحَتْ بذاك الخوطبان الأملدا
جاءَتْ تجرّ الأتحمَي وراءَهَا
والنشرُ مسكٌ حينَ وافاهُ النَّدَا
خوفَ الرقيبِ تجرّدتْ منْ حليهَا
مَا الرأيُ فِي نشرٍ عَلا وتبَدَّدا
هيفَاء ناعمةٌ ردَّاحُ كاعبٌ
ريّا الخلاخلِ ذاتُ فتكٍ واعتِدَا

هيفاءُ قدْ سَحَرَتْ بطرفٍ أحوَرِ

كمْ أوْرَدَتْ مِنْ عاشقٍ حتفَ الرَّدَى

وترِيكَ وجها كالغزالةِ مشرقا

وأثيثَ فرعٍ كالعثاكِلِ أجعَدَا

باتتْ تحدّثُني فتبسمُ تارَةً

فرأيْتُ ياقوتاً ودرًّا قدْ بَدَا

نلاحظ أن انتقاء الألفاظ عند الشاعر يصوغ لنا ديباجة مميزة، يتفرد بها دون سواه بما تحمله من تراكيب ومعانٍ دقيقة، فهو حين يريد أن يلفت الانتباه إنما يستعمل الأوصاف ذات اللفتات الجميلة، في الغزل، وكأنه ينقل المتلقي إلى عالم آخر.

على الرغم من أن الشاعر لم يكن الأسبق ببراعة الاستهلال في ديوانه إلا أنه كان صوتا فريدا في زمانه ولم يكن صدى، حيث الوضع السياسي العسير والثقافي الصعب، ولم تكن هناك حاضنة معرفية تشمل عمان كلها إلا ما كان معروفا من مجالس ومدارس قلة، إذ الناس يشغلهم طلب المعاش عن العلم.

ب- التكرار:

يتعدد التكرار عند الغشري والغرض و الدافع الذي من أجله قد يكرر، فالتكرار عند الغشري مختلف بعض الشيء، فهو قد يكرر تركيبا مبتدئا بكلمة وبها حرف الإظهار وهو الهاء للدلالة على إظهار التحسر والحزن على ما حلَّ بعمان من تعلق أهلها بالدنيا واندراس العمل بالعلم، من ذلك مثلاً قوله:

لَهَفِي عَلى مَلِكٍ عَدلٍ يعاضدُه

غُلبُ الرجالِ بحملِ البيضِ والسُّمُرِ

لهفِي عَلى قائمٍ لله محتسِبٍ

يُحْيي لسنةِ عبدِالله معْ عُمَرِ

لهَفِي عَلى عُصْبَةٍ لَمْ تَخْشَ لائِمةً

بالقِسْطِ قائِمةً لله والبَشَرِ

لهفِي فإنَّ عُمَانًا أهلُها نقضُوا

ميثاقَهم وأتوا بالإفكِ والأَشَرِ

فهذا الانتقاء للتكرار عند الشاعر لم يكن اعتباطيا، وإنما الثوران الداخلي للشاعر ورغبته في عدم كبت ما ألمَّ به، ولأنه يحمل فكرا وهما لصون الدولة والحفاظ عليها، كل ذلك وغيرها من الأسباب تدفع الشاعر إلى التكرار.

وقد يستعمل الشاعر تكرار كلمة

(حُرمة) لأجل التبتل و رجاء لقبول التوبة، مستشفعا بكل ما أوتي من سبل الشفاعة، وهذه الكلمة بحد ذاتها تدل على معنى في نفس الشاعر والمتلقي، إذ الحرمة مأخوذة من الحرم أو الحرام أو التنزيه والتقديس وكل ذلك له وقعه في نفس المتلقي.

فبحرمةِ المختارِ يا ربَّ الورَى
إنِّي سألتكَ فاستجبْ يَا موئلي
وبحرمةِ القرآنِ ثمَّ بمَا احتوتْ
آياتُه منْ مجملٍ ومفصَّلِ
وبحرمةِ الروحِ الأمينِ وحرمةِ الْـ
ملكِ المطاعِ فذاكَ ميكالَ الولي
وبحرمةِ الملكِ الموكلِ بالفنا
طوعا لمولاهُ فخيرُ موكَّلِ
وبحرمةِ الملكِ الذي هوَ نافِخٌ
فِي الصورِ عندَ نزولِ أمرٍ معضلِ
وبحرمةِ الملكِ المسبحِ ربَّه
وهمُ الملائكُ منْ جَميعِ مُهلِلِ
وبحرمةِ الرُّسلِ الكرامِ جميعِهِمْ
والأنبيَا منْ ناسِكٍ أو مُرسَلِ

فهذا التكرار له بُعد نفسي لدى الشاعر حيث إن الشاعر يعمد إلى ذلك لعلمه أن كثرة التكرار وهو بمثابة قرع الباب منتهاه أن يلج الطارق إلى مقصده.

ج – طول النفس:

«الشعر ليس عملا سهلا ساذجا كما يعتقد كثير من الناس، بل هو عمل معقد غاية التعقيد، هو صناعة تجتمع لها في كل لغة طائفة من المصطلحات والتقاليد»[19]، التي بدورها تسوق الألفاظ المعبرة عن المعنى المطلوب، ونجد ذلك أكثر ما نجده في ملحمته الشعرية المسماة (سلك الأخبار ومرآة الأفكار...) التي يقول في مطلعها:

سَبَقَ القضاءُ وحُقَّتِ الأقدارُ
بالكائناتِ فليسَ منهُ فِرارُ
إبْليسُ قدْ عبدَ المهيمنَ في السَّما
ولديْهِ قامَ ملائكٌ أبرارُ
ستينَ ألفاً منْ سنينٍ بعدَها
عشرينَ ألفاً جاءتِ الأخبارُ
رُدَّتْ عبادتُهُ وتلكَ شقاوةٌ
سبقتْ وعاضدَ كِبْرَهُ الإصْرارُ
والجدُّ آدمُ بعدَ سُكْنِ جنانِهِ
قدْ غرَّهُ شيطانُه الغرَّارُ
فعصَى وتابَ وقدْ تَقبَّلَ توبةً

مولاهُ حينَ بَدَا لهُ استغفارُ

حيث سجل فيها أحداثا بدأها منذ سيدنا آدم عليه السلام مرورا بسيدنا نوح عليه السلام حتى دخول أهل عمان الإسلام واختتمها بتاريخ الأئمة. وله كذلك قصائد معبرة في المدائح النبوية ومدائح الأئمة العمانيين، فيها أكثر من أربعين بيتا.

د- الاختتام بالصلاة على النبي:

إنك إن تقرأ في ديوان الغشري فإنك ستجد أن الشاعر يختتم قصائده بالصلاة والسلام على النبي، وهذا الأمر يكاد يطغى على أغلب قصائد الديوان، ويجعل ذلك بصور مختلفة فمن ذلك قوله:

عليه صلاة الله ما انهلَّ صيِّب بِوَبْلٍ هتُونٍ دائمِ الوكف والقطر

وقوله:

ثمَّ الصلاةُ عَلى النَّبيَّ وآلِهِ ما سبَّحَ المَوْجُ العظيمُ الجَارِ

وقوله:

ثمَّ الصلاةُ على المختارِ سيدِنا مَا حَنَّ رعدٌ وجادَ السحبُ منهدِفقا

وقوله:

وبعد حمدِ إلهي فالصلاةُ على نبيَّنا المرتقِي عن كلَّ أدناسِ

وقوله:

وعلى النبيَّ صلاةُ مَنْ هذِي البسيطةَ قد فَرَشْ

وهذا الأمر جار على أغلب القصائد، وهي ميزة تحتاج إلى المزيد من الدراسة والتمحيص ولاتكفيها هذه العجالة.

٢- الصورة الفنية:

الصورة الفنية عند الغشري موجودة في أنحاء الديوان، إلا أن الأغراض الشعرية قد صبغت بصبغة العلم والزهد، بل إذا قلنا إن الديوان يكاد يخلو من الرموز التي هي جزء من الصورة الفنية، فإننا لا نبالغ. وقد يطالعنا الشاعر أحيانا في بعض قصائده بصورٍ تدفعنا إلى الوقوف عليها والتأمل فيها، فمن مثل ذلك مثلا قوله وهو يصف الحسناء وتأثيرها في نفس ناظرها الذي يتأثر بها وبرائحتها التي تفوح منها :

زها زهرة يزرِي عَلى الزهرِ وجههُا
تزلزلُ ردفاً يفضحُ الزلَّ يُعزلُ
سيوفٌ من الألحاظِ سُلَّتْ وأرسلتْ
سهاماً فلا يُخطى بهَا حينَ ترسلُ
شممتُ شذاهَا إذ تهبُّ شمائلٌ
فيا ليتَ شمِلِي شملهمُ حينَ أشمَلُ

وقد تجده يرسم لك صورة دهره التي تخيلها في فكره وعبَّر عنها بيانه وما حل به، فيصور لنا أن السلاطين والسوقة إذا حلت بهم فاجعة الدهر كأنهم السراب أو الطَّيف الذي يبدو ساعة السحر:

وكمْ رأيْتُ سَلاطِيناً متوَّجَةً
فالدَّهْرُ صيَّرَهَا منْ سُوقة البَشرِ
والبعضُ أنزلَهَا مِنْ فوق منزلِها
رَغماً وأسكنَها فِي ظلمةِ الحُفَرِ
مارسْتُ دهريَ كلَّ الأمرِ أجمَعهُ
كأنهُ لمْ يكُنْ شيئاً لمعْتبِرِ
أو كلُّهُ كسَرابٍ فِي الفلاةِ بَدا
أوْ مِثل طيْفٍ أتى فِي سَاعةِ السَّحَرِ

والشاعر كثيرا ما يتغنى ببني خروص و بأمجادهم، ولاعتب عليه؛ إذ إن لهم قصب السبق في إقامة العدل ونشر الخير وإبادة الجور، وكأن دولتهم نبوية من عند الله، وكأن عهدهم عرس الزمان وعيده، بل عهدهم عهد السمع والأبصار حيث يقول:

ولقدْ أتَتْ لبني خَرُوصٍ دولَةٌ
نَبويَّةٌ حَتى اسْتنارَ الدَّارُ
فزمانُهُمْ عِيدُ الزمانِ وعُرْسُهُ
بلْ وجهُهُ والسمْعُ والأبصَارُ
نسخَ الظلامَ ضياءُ عدلهمُ إذا
وبَدَا عَلى وجْهِ الأنامِ نضارُ
ولقدْ سمَا فوقَ السَّماكِ فخارُهمْ
ولهُمْ عَلى كُلِّ الأنامِ فخَارُ

ونراه في وصف الحسان اللواتي يجذبن الأنظار، بحسن وجوههن، وفتانة أعينهن، وطيب ثغرهن، حيث يقول:

منْ كُلِّ فتَّانةِ العينيْنِ واضحِة الْـ
خدَّيْنِ ميَّاسة مثلِ الشموسِ تُرَى
تَبْدُو وتبسمُ عنْ سمْطٍ به دررٌ
ترى الجُمانَ بهِ قدْ فصّلَ الدُّرَرَا

وقد يصف السائر في طريق الغي بالممتطي نوق الغواية، حاثا إياه إلى الإسراع إلى التوبة، وعدم التأجيل إلى الغد، فقد يأتي الغد ولا تكون من أهله:

فيَا مُمْتطِي نُوقَ الغوايةِ والهوَى
وبعْضٌ لهَا فِي مسْلكِ الغَيِّ قاطِرُ
لقدْ آنَ أنْ ترْجِعْ لمولاكَ تائبا
ودمعُكَ خوفاً منَ مآقيكَ قاطِرُ
ولَمَّا تؤخرْ للمتابِ ولا تَقُلْ
أتوبُ إلى الرحمنِ إذْ جاءَ باكِرُ
لعلَّ غدًا يأتي ولسْتَ بأهلِهِ
وفيهِ لكَ الموتُ الفجيعُ يُباكرُ

والصورة الشعرية عند الغشري لها مواضع في شعره، ولايمكن أن نقيدها بهذه الأمثلة، وإنما لابد من أن نجعل فكر القارىء يتجول في أفياء الديوان ليتعرف عليها.

٣- اللغة:

«وتظل اللغة العربية بعد ذلك أوفر عددا في أصوات المخارج التي لا تلتبس ولا تتكرر بمجرد الضغط عليها، فليس هناك مخرج صوتي واحد ناقص في الحروف العربية»[٢٠]، فلغة الشاعر تمتاز بالوضوح والسهولة؛ وذلك ناتج لتنويع الشاعر للمخارج الصوتية، هكذا في أغلب ديوانه، إلا أن لكل قاعدة شواذ فقد يستعمل اللغة المتقعرة التي تدفع القارىء إلى استعمال المعاجم للتوصل إلى معناها، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على قدرة الشاعر على استعمال الألفاظ، وتوظيف الكلمات بمختلف معانيها، وقد يكون بدافع التأثر بالآخرين، فالشاعر البليغ «هو الشاعر الذي نعرفه من كلامه وإن لم يقصد إلى تعريفنا بسيرته وترجمة حياته؛ لأنه يصف لنا شعوره بما حوله من الأحياء وسائر الأشياء»[٢١]، فنحن نلحظ الشخصية الأدبية اللغوية للشاعر فمن ذلك قوله:

فسُقيَا لدارٍ قدْ حَللْتُم بصحْنِهَا
بكمْ زالَ عنهَا ذلةٌ وقتامُ
سَقى حِكْلاً مُسْجِنفر الودْقِ هاطِلٌ
مُلِثٌ هَتونٌ وابِلٌ ورَهَامُ
فدارُكمُ دارُ الكرامِ وإنَّهَا
عَلى الأرْذلينَ الفاجِرينَ حَرَامُ

«اللغة العربية لغة مجاز والمجاز هو الأداة الكبرى من أدوات التعبير؛ لأنه تشبيهات وأخيلة وصور مستعارة»[٢٢]، ويوظف الشاعر اللغة مستغلا الجناس بين المفردات بالإضافة إلى المجاز معطيا معنى متناسقا في كل شطر إذ يقول:

قَلاَ قلبَي الأقلالُ بعدَ تقلبي

حليفَ الغوانِي عنىً ومعَانِ
وشتتَ هَذا الشيبُ شملَ شبيبتي
وجفتْ جفانِي إذ جفا النومُ أجفانِ
تحامَى حميمِي عنْ حماية َ حرمَتي
وخلَّ خليلِي خلتي بعدَ خذلانِ

ومثل هذه القصيدة فإن الغشري يبرز لنا موهبته الشعرية حيث «إنَّ الصناعة اللفظية هي موضع العناية الكبرى في الأدب العربي»[٢٣] كما يقول العقاد، ولذا فنحن نلحظ التجانس الجميل بين أبيات شاعرنا إذ يقول:

فكلُّ اجتماع بالحمام مفرَّقٌ
ويَخْرُبُ منه كل ما هو عامرُ
يموتُ صعاليكٌ وأنت مشاهدٌ
وأهلُ الثَّرا والمالكون الأكاسرُ
فكلُّ ابن أنثى ذائقٌ مرَّ كأسه
ولا قائم إلا له الموتُ كاسرُ
ولا تدفع الموتَ الزؤام تميمةٌ
إذا نشبتْ للمرء منه أظافرُ
وكل فتى يمضِي بزاد من التُّقَى
فإنَّ غداةَ الحشرِ لا شك ظافرُ

ويطالعنا الغشري وبمفرداته في نظم الشعر، فهو إذ يأتي بالكلمات المتجانسة كما لاحظنا بين كل شطر من أشطر القصيدة، فإنه يصور لنا الغاية من موضوع القصيدة ومناسبتها للموضوع.

٤- العاطفة: إن صدق العاطفة يظهر في مدى تأثر القارىء بمضمون القصيدة، وبما أن الشاعر الغشري شاعر يطغى على شعره الجانب التعليمي وجانب الزهد فإنه من المؤكد لن تجد ذلك الزخم الكافي من القصائد التي تشيع فيها العاطفة الصادقة، إلا أنك ستجد قدرا لا بأس به من القصائد التي عن طريقها تلاحظ ثوران هذه العاطفة:

قُلْ للملوكِ فمَا هذا الفخارُ على
كلِّ المساكين أهلِ الفقرِ والضعفا
إذ كانَ تحتَ الثرى مأوى الجميعِ من الْ
أملاك والضعفا الأوباشِ والشرفا
فإنَّ منْ ملكَ الدنْيا بأجمعِهَا
والدهرُ فوَّقَه شطريهِ منعطفا
ومنْ يبيتُ سهيرَ العينِ منْ سغبٍ
بعدَ المماتِ سواءٌ هفوةٌ وجفا
منْ أجلِ هذا أولو الألبابِ ما جنحُوا
لهَا وليسَ عليها دمعهمْ وكفا

ونرى الجانب الوجداني عند الشاعر واضحا حينما يصف وفاة أحد أشياخه وأن ذلك الحدث أبقى في نفسه

من الحزن والكمد ما جعل الشاعر من نفسه فردا من أبناء قبيلة الشاعر إذ يقول في القصيدة:

وَتكْسِفُ هَذِي الشَّمْسُ كَادَتْ وأرْضُنَا
تَمُوجُ بِمَنْ فِيهَا وَضَاقَ بِنَا الرَّحْبُ
وَكَادَتْ تَجُرُّ الرَّاسِياتُ تَهَدُّداً
وَيَنْفَجِرُ التَّيارُ إذْ مَسَّهُ خبُّ
لِمَوْتِ تَقَي عَالِمٍ مَتَوَرِّعٍ
حَلِيمٍ مُنِيبٍ مَالَهُ فِي الوَرَى هَبُّ
فَبَعْدَ عَلِي المُرْتَضَى ابنُ سَعِيدِنَا
سُلالَةُ صُبْحٍ عُطِّلَ الدِّين وَالكتْبُ

ولنقترب قليلا من الغشري الذي ما فتيء يوجه الإرشادات والمواعظ ويؤرق مضجعه حال المسلم الذي يلهو ويغتر بهذه الفانية ولا يلتفت إلى الباقية الخالدة التي من أجلها خلق، فيدعوه إلى النظر في أمر السلطان والأمير والمتنعمين المترفين وإلى الفقير والمسكين فكل هؤلاء سوف يأتي عليهم أمر من الواحد الأحد:

تفكرْ أخِي فالأمرُ ليسَ بهَيِّنٍ
وعنْكَ فزحْزِحْ طائِفَ النَّومِ والكَرَى
وكُنْ بعظاتِ الدهْرِ مُتّعِظاً إذا
غداةً يُرِيكَ الدهْرُ منهُ حبوْكرَا
ولا تغبطِ السلطانَ سوفَ تخالُهُ
يَعَضُّ يَداً عمَّا يَراهُ مُؤثِّرا
أرَى حَظَّ مسكينٍ ومَنْ مَلَكَ الورَى
سواءً سِوى تحتَ الحجارةِ والثَّرَى

٥- الإيقاع الشعري:

«الموسيقى علم يبحث في الزمن والصوت ولهذا ينقسم إلى فرعين هامين الإيقاع والنغم»[٢٤] لقد نظم الغشري قصائده على بحور الشعر المختلفة وكانت نسبة البحور إلى القصائد بنسب متفاوتة على النحو الآتي:

البحر	عدد وروده
الطويل	125
البسيط	51
الكامل	29 +(12) مجزوء
السريع	25
الوافر	21 +(3)مجزوء
الرجز	10
المتقارب	5
الرمل	1 + (1) مجزوء
الخفيف	1

فالإيقاع الشعري ونعني به الإيقاع الشعري الناجم عن البحر العروضي عند الغشري نجده في بعض قصائده التي استطاع أن يوفق بين الوزن والقافية، ولقد اقتصر الشاعر على البحر

الطويل والبسيط والسريع والوافر والكامل والرجز والرمل والخفيف والمتقارب، ولقد أكثر من استعمال البحر الطويل الذي يستصعبه بعض الشعراء، ويأتي في المرتبة الثانية البسيط ثم الكامل ثم السريع ثم الوافر ثم الرجز ثم المتقارب ثم الرمل فالخفيف.

فنجده في حال مدح الرسول- صلى الله عليه وسلم- يختار القافية التي تتناغم مع الوزن الشعري وهو بحر الكامل حيث يقول:

خَطرَت تَميسُ تبختراً وتوأدا
فضَحتْ بذاك الخوطبان الأملدا
جاءت تجرّ الأتحميّ وراءهَا
والنشر مسك حين وافاه النَّدَا
خوف الرقيب تجرّدت من حليهَا
ما الرأى في نشر علا وتبدَّدا
هيفاء ناعمة رداح كاعبٌ
ريّا الخلاخل ذات فتك واعتِدَا

بينما نجده في قصيدة أخرى يُجري الصفير متزامنا وموضوع القصيدة وهو مدح السادة من بني خروص؛ ولذا اختار لها الإيقاع والكلمات المناسبة مما جعلها أكثر تأثيرا في نفس القارىء، وكأني بالشاعر وهو يذكر مناقب بني خروص إنما يملأ فاه تغريدا وصفيرا ليسمع الكل بهذه المحاسن حيث يقول:

شمسٌ تراءتْ لنا أم نورُ مقباسِ
أم بدر تمَّ بدا ميقاتُ أغلاسِ
أم ظبيةُ الأنسِ في أترابها برزت
من كل فَتَّانةِ العينين مَيَّاسِ
رجراجةُ الرَّدْفِ لفَّاءَ إذ خَطرَتْ
تُصْبِي الحليمَ برنَّاتٍ ووسواسِ

وهكذا نجد الإيقاع الموسيقي موجودا في قصائد الغشري متنقلا من قصيدة إلى أخرى، ومن موضوع لآخر. ونحن إذ نقدم هذا الإضاءة عن شعر الغشري فإننا لانعني بذلك الدراسة المفصلة، وإنما القصد مدخل للباحثين والدارسين ليستبين لهم شيءٌ عن هذا الشاعر و شعره.

الخاتمة

بعد دراسة المادة الأدبية للشاعر، والرجوع إلى المصادر -التي تكاد تكون نادرة- في التعريف بهذا الشاعر الأديب فإن أهم ما يمكن أن نختم به بحثنا من هذه الدراسة صعوبة تحديد ولادة الشاعر ووفاته ولكن يمكن جعْل ذلك في المدة

من سنة (١١١٥هـ) إلى سنة (١١٨٥هـ) هو أقرب زمن بالكون الشاعر أدرك عصرين سياسيين، ولقد تأثر الشاعر بالأسرة والعائلة التي نشأ فيها، حيث إن الإنسان ابن بيئته فلقد كان لأسرته التي اتسمت بالعلم تأثير واضح في نشأته وأدبه، وإنَّ اشتهار الشاعر بلقبه كان أكثر من اسمه واسم قبيلته، فباتت شهرة الشاعر بـ (الغشري) معروفة، ولقد كانت صلة الشاعر الغشري بأئمة زمانه وتواصله معهم واضحًا، وهذا يجسد لنا أن الشاعر لم يكن بعيدًا عن شؤون بلاده السياسية و الاجتماعية، فمع سعة علم الشاعر الغشري إلا أنه لم يترك لنا سوى ديوانه وقد ضمنه بعضًا من المسائل الفقهية، وفي هذا إشارة إلى أنَّ الرجل كان عالمًا وشاعرًا في الوقت ذاته. إنَّ الغشري لم يكن مكثرًا من بعض أغراض الشعر كالغزل والهجاء، بل كان أكثر شعره في الوعظ و النصح والإرشاد، وقد تجلى الغزل العذري العفيف في بعض القصائد وفي المقدمات الغزلية، فالغشري شاعر قد وضع لنفسه حدودًا في أغراض شعره، فهو لا يمدح إلا من يراه مناسبًا وبما فيه من محاسن، ولا تأخذه الحماسة في الهجاء فيتعدى حدود الأدب. ولقد انفرد الشاعر بمادة علمية في التأريخ لأحداث حصلت في زمانه، كما انفرد بالشعر التعليمي ووضع الأراجيز والإجابة عن أسئلة وصلته شعرًا وأجاب عنها بالشعر كذلك ومما تميز به الغشري براعة الاستهلال في قصائده، وذلك لجذب المتلقي أو السامع، كما كانت له ألفاظٌ وتراكيب تعمَّد تكرارها لتأكيد المعاني المستفيضة، مستعملًا طول نَفَسِه لإظهار المعاني المحتبسة، مختتمًا بالصلاة على النبي وآله وسلَّم في كثير من قصائده. لقد تناثرتْ الصُّور الفنية في حنايا الديوان، مع خلوها من الرمز الذي هو جزء من الصورة الفنية؛ ذلك لأن الديوان قد صبغ بصبغة الوعظ والإرشاد، مع وجود تباين في لغة الشاعر بين غريب الألفاظ وعذوبتها، مع المزج بين طبيعة اللفظ في القصيدة والبحر المناسب لها.

الهوامش:

١- ورد اسمه في جوابٍ أرسله الشاعر إلى السيد بلعرب بن حمير اليعربي حيث يقول: (وكاتبُ الأحرفِ الواثقُ باللهِ عبدُه سعيدٌ بنُ محمدٍ بنُ راشدٍ بنُ محمدٍ) بينما تثبت المصادر أن اسمه: سعيد بن محمد بن راشد بن بشير، منها شقائق النعمان على سموط الجمان، محمد بن راشد الخصيبي، ص١٠٦، ومعجم شعراء الإباضية، فهد السعدي، ص١٨٠.

٢- شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، محمد بن راشد الخصيبي، ج١، ص١٠٦

٣- ورد في مخطوطة الديوان في صفحاتها الأولى ما نصه: (هذا ديوان الشيخ الفصيح سعيد بن محمد الغشري الخروصي) كذلك فإن المصادر تثبت اللقب دون أن تذكر سببا أو مصدرا موثوقا، ومن الكتب شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، وكتاب معجم الإباضية قسم المشرق، وإتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، وغيرها من المراجع.

٤- ملامح من التاريخ العماني، سليمان الخروصي، ص١٠٦ .

٥- معجم شعراء الإباضية (قسم المشرق)، فهد السعدي، ص١٨٠.

٦- الإمام سلطان بن مرشد هو آخر أئمة اليعاربة تولى الإمامة ١١٥٤هـ / ١٧٤١م، عمان في التاريخ ص٣٩٤.

٧- عمان في التاريخ، وزارة الإعلام، ص٤٢٦.

٨- معجم شعراء الإباضية (قسم المشرق)، ص ١٨٠.

٩- معجم شعراء الإباضية (قسم المشرق)، ص ١٨٠ .

١٠- زرت الشيخ مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي يوم الخميس الساعة الحادية عشرة صباحا بتاريخ ٩ /٢/ ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠٠٩/٢/٥م فأخبرني أنه لا يوجد شيء موثق يثبت ذلك وإنما اللقب أتى قبل الشاعر، ثم أخبرني بقصة أن رجلا خروصيا قتل رجلا آخر من بني خروص وبعد تدخل المصلحين اتفقوا على دفع دية لأهل المقتول فتكلم رجل من أهل المقتول قائلا إنه غاشر لهذا الحكم بمعنى مغير له أو مبدل وناكس للحكم، فصارت لقبا على هذه العائلة والله أعلم.

١١- الإمام سلطان بن مرشد هو آخر أئمة اليعاربة تولى الإمامة ١١٥٤هـ / ١٧٤١م، عمان في التاريخ ص٣٩٤.

١٢- الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربي آخر إمام يعربي، وذلك سنة ١١٤٥هـ / وقيل سنة ١١٤٦هـ بحصن نخل من الباطنة، وقعت بينه وبين سيف بن سلطان وقعة عظيمة واستعان سيف بالعجم وهي وقعة السميني في

الظاهرة..، معجم أعلام الإباضية، ص٧٢.

١٣- الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدي مؤسس الدولة البوسعيدية، بويع بالإمامة عام ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج٢، ص١٧٨-١٨٠.

١٤- انظر عمان في التاريخ، ص٣٩٤.

١٥- أحد مشائخ بني خروص الذين شاركوا في الرد على الإمام، معجم أعلام الإباضية، ص٣٩١.

١٦- مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، ص٣٧١.

١٧- اللغة الشاعرة، العقاد، ص٤٣.

١٨- هكذا ورد اسمها في الديوان، ولم أجد عنها في كتب التراجم.

١٩- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، ص١٣.

٢٠- اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، ص١٢.

٢١- المرجع نفسه، ص٣٧.

٢٢- اللغة الشاعرة، العقاد، ص٢٥.

٢٣- اللغة الشاعرة، العقاد، ص٣١.

٢٤- تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، محمد عبد الغني المصري و مجد محمد الباكير البرازي، ص٤٥ .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١- ديوان الغشري - مخطوطة.

٢- إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان: سيف بن حمود البطاشي، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣- تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، محمد عبد الغني المصري و مجد محمد الباكير البرازي، الوراق للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥ ، عمّان، الأرن.

٤- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، ط١١، دار المعارف، القاهرة.

٥- شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان: محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٦- عمان في التاريخ: وزارة الإعلام، سلطنة عمان، ودار اميل للنشر المحدودة، لندن، ١٩٩٥م.

٧- اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، القاهرة.

٨- لسان العرب: ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر بيروت، ط٦، ١٩٩٧م.

٩- معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر(قسم المشرق): محمد صالح ناصر، سلطان بن مبارك الشيباني، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

١٠- معجم شعراء الإباضية(قسم المشرق): ج٢، ١، فهد بن علي بن هاشل السعدي، مكتبة الجيل الواعد، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

١١- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار (مجمع اللغة العربية - مصر). دار الدعوة. استانبول، تركيا. ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

١٢- ملامح من التاريخ العماني: سليمان بن خلف بن محمد الخروصي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان، ط٣.

١٣- مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي: جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٥، ١٩٩٥م.